جمالية الحركة القرآنية وتوظيفها في أدب العقيلة زينب (عليها السلام)

أ.د. ثائر سمير حسن الشمري الباحث. أحمد صاحب غالي الجشعمي
جامعة بابل / كلية التربية الاساسية جامعة بابل / كلية التربية للعوم الإنسانية
d.thair@yahoo.com

The Aesthetic Value for the Quran Vocalization and its Employment in the Literature of the Matronly Zainab (PBUH)

Prof. Dr. Tha'ir Sameer Hasan Al-Shimmari
University of Babylon / College of basic Education
Researcher. Ahmed Sahib Gali Al-Jeshami
University of Babylon / College of Education for Human Sciences

Abstract

The research refers to a group of body involuntary movements of man and man's voluntary inherited and acquired movements to clarify the relationship between the body language and the spoken language which is noticed by the Holy Quran and how the Matronly Zainab (PBUH) had employed these movements in her informational revolution.

الخلاصة: –

يرصد البحث مجموعة من حركات الجسد اللاإرادية للإنسان، والحركات الارادية الموروثة والمتعلمة من لدن الإنسان لبيان العلاقة بين لغة الجسد واللغة المنطوقة والتي رصدها القرآن وتوظيف العقيلة زينب عليها السلام لهذه الحركات في ثورتها الاعلامية.

توطئة

في غضون السنوات القليلة الماضية تم الكشف عن علم جديد مثير يدعى لغة الجسد (الكينيزكس)، ويقوم على اساس انماط سلوكية للاتصال غير المنطوق[1]، فهو: دراسة او علم يبحث في العلاقات بين لغة حركات جسد الفرد مثل هز الكتف وبين الاتصال بالآخرين (بالتراسل / التبليغ)[2]، فهو: اشارات وإيماءات جسدية ترسل رسالات محددة في مواقف وظروف مختلفة، تظهر لك المشاعر الدفينة وتخرجها للسطح، فتصل من خلالها معلومات او افكار عن الشخص الاخر، بحيث لا يستطيع اخفاء الافكار التي تدور في ذهنه[3] ففي هذا العالم الكبير يوجد الكثير من اللغات واللهجات التي يصعب تعلمها وإدراكها، لكن هناك لغة واحدة يمارسها الجميع على اختلاف الوانهم واجناسهم وثقافاتهم وهي لغة الجسد. انها لغة التخاطب غير اللفظي اللاشعوري، تهتم بردود فعل الجسم عند التواصل مع الاخر من خلال ملاحظة الحركة الصغيرة والبسيطة للوجه والجسد، فثمة ألوف من الحركات الجسدية التي تترجم مشاعرنا وانفعالاتنا المختلفة، انها لغة غير ارادية تشكل اطاراً للفكر الحديث[4]، فما من حالة عاطفية او وجدانية الا ولها تعبير جسدي، فان الكلمات تستعمل بشكل رئيس لنقل المعلومات، بينما لغة الجسد تستعمل لقراءة التصرفات الداخلية.

تصوير الحركة عند القدماء

لهذا العلم جذور ضاربة في عمق التاريخ فأبقراط اشار إلى شيء من هذا العلم سنة (450ق.م) وهو يعتقد تأثير العوارض الخارجية على الاخلاق وظهور اثر ذلك في الملامح[5]، فالأجسام الحية تنمو وتكبر بالاستعمال وتضعف وتندثر بالإهمال، ويعللون ذلك النمو بتوارد الدم الى العضو في اثناء استعماله، وكلما زاد عمله، وكلما توارد الدم اليه يزداد نموه، وذلك هو شأن عضلات الوجه ايضا. فإن ما يتكرر استعماله يزداد نموه، فلو تعود احدنا الغضب كل يوم فان العضلات التي تنقبض للغضب يزداد نموها[6]، وهذا ما يسمى (بالفراسة)، على ان الفراسة لم تعد علما مستقلا قبل ان يكتبه ارسطو، فذكر في الإنسان علامات تدل على ضعفه او قوته او ذكائه او غباوته، اما العرب فقد عرفوا أشياء تعد من قبيل الفراسة

كالقيافة، وكانت عندهم صناعة يستدل بها على معرفة أحوال الناس ويسمونها قيافة البشر، لان صاحبها ينظر في بشرة الناس وجلودهم وما يتبع ذلك من هيأة الاعضاء[7].

تصوير الحركة عند المحدثين

اما في العصر الحديث فقد وضع العلماء نظرية تزعم ان ما تحت القشرة الدماغية الفطرية هي التي تقوم ببرمجة ترابط مثيرات معينة لتمكين تمييز تعابير الوجه العامة، الخاصة بكل مؤثر أساسي: الاهتمام، الابتهاج، الاندهاش، الخوف، الغضب، القلق، القرف، الازدراء والخجل، بكلمات أبسط، هذا يعني ان ادمغة الناس مبرمجة لرفع زاويا الفم عندما يكونون مسرورين، وخفضها للأسفل عندما يكونون مستائين، كذلك تقطيب الجبين، تصعيد الحاجبين، رفع زاوية واحدة من الفم، وهكذا دواليك، تبعا لما يزود الاحساس الدماغ[8] فنحن نولد حاملين عناصر الاتصال اللانطقي من الطبيعي ان هذا لا يتناقض مع حقيقة انه لابد لنا ان نتعلم ايضا العديد من الاشارات والايماءات، التي تعني الشيء نفسه في المجتمع الواحد مثل هز الرأس من الاعلى الى الاسفل لندل بذلك على: نعم، وهز رأسنا من جهة الى اخرى ليدل بذلك على كلمة: لا، ومن هذا يمكن ان نفهم ان لغتنا اللانطقية هي جزئيا غريزية وجزئيا متعلمة، وفي جزء اخر تكون محاكاة (تقليد)[9] .

ان عدد الحركات الصامتة لا يعد ولا يحصى، في الوقت الذي يكون بعضها متعمداً والاخر شبه متعمد، فهناك بعض الحركات يفعلها الإنسان من دون وعي بها مثل فرك ما تحت الانف للتعبير عن الحيرة او عقد الاذرع بهدف حماية النفس[10]، فالابتسامة مؤشر للسلوان على الدوام، والتجهم يدل على الاستياء.

لاشك ان حركات العين هي من اكثر حركات الجسم تعقيدا ونحن نستعمل عبارات تدل على اننا نستعمل العيون في عملية الاتصال مثل (نظرت اليه بغضب)، (عيناه خداعتان)، (عينان قاسيتان وحزينتان)، (وجذابتان وثاقبتان) وعندما نستعمل هذه العبارات نشير من دون وعي منا لحجم حدقة عين الشخص ولأسلوبه في النظر والتحديق فالعين يمكن ان تكون اكثر اشارات التواصل البشرية دقة وكشفا لانها نقطة مركزية في الجسم ولان بؤبؤي العين يشيران دائما الى ماهية الشعور الحقيقي للأشخاص، فهما يمنحانا اشارات الاتصالات البشرية الاكثر دقة ومصداقية، ولاسيما انهما يعملان مستقلين[11]، وبإضافة حركات الحاجبين الى حركات الجفن سيكون ممكنا تمييز توصيف الاشارة الناتجة بعدد أكبر، فقد وجد العلماء اربعين وضعية للحاجبين، وللجفنين ما يقارب خمسا وثلاثين وضعية، وتصبح التركيبات لانهائية، عندما تتراكب أهمية حركات الحاجبين مع أهمية حركات الجفن مضافا إليهما تجعدات الجبين وحركة بؤبؤ العين[12].

والمخلوقات كلها تستعمل لغة الجسد للتعبير عن امر معين فالانحناء في الصلاة (الركوع والسجود)يشكلان بشكل عام جل انواع الرفعة" من خلال العلو، انت في مكان اعلى ارفع مما انا عليه، واللغة غير النطقية لنحل العسل الذي يستطيع من خلال حركات معينة محدودة ان يقود سكنة خلية النحل جميعهم الى موارد العسل الجديد الاكتشاف، وهي حركة موروثة لا يتوجب على النحل تعلمها[13].

جمالية الحركة في الادب

كثر الاهتمام بالدراسات المعنية بالحركة والإشارة، لما للإشارة من أهمية اجتماعية، فصارت الإشارة فرعا من فروع علم اللغة، تقول الدكتورة فاطمة محجوب: (إن التعبير بالحركة أصبح علما جديدا من علوم اللغة، وهو العلم الذي يسمى "بعلم الكنيات" ويطلق عليه أحيانا لغة الجسم، ويقول الباحثون في هذا العلم بأن بعض المواقف الاجتماعية تكون الحركة الجسمية فيها أصدق وأحسن تعبيرا من الكلام)[14].

فالصورة الإشارية لغة حقيقية حركية يقوم بها المبدع جامعا بين التوصيل والإيحاء، فقد دخلت الدراسات الأدبية وصارت تُرصد في الإبداعات الأدبية، وقد قيل عنها: (تقع في منطقة وسطى بين الحرفية أو تقديم الصورة تقديما مباشرا، والصورة الموحية الغنية بالدلالات فهي تحتاج إلى ادراك داخلي بسيط للوصول اليها، ويعتمد الشاعر في تشكيلها على كذا] وسائل لغوية منها: الوصف، وبلاغة أبرزها: الكناية والمجاز المرسل بعلائقه المختلفة طبقا لما يرى)[15].

وللباحثين آراء في جمال الحركة في الفن، وهم يطلقون عليها صفة الجمال بقدر ما تعبر بصدق تصويرها عن الحياة، فالحركة موجودة في حياتنا وفي تصرفاتنا اليومية، وموجودة في الفنون بتنوعها، ويمكن أن نجد هذه الجمالية تحت عنوان الاستعارة أو الكناية، في كتب القدامى كتصوير الحركة القوية، وذلك لوضوح استعارة الزلزلة والاضطراب والتحولات الوجدانية وغيرها كما قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[16]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[17]، فان هذه الآية فيها استعارة مكنية فقد استعار من صورة الدابة انكباب وجهها على الأرض وكنى به عن الإنسان المنحرف وشبهه بالحيوان واستعار للمؤمن لوازم الإنسان وهي الاستواء بالجذع، والذي يدعم هذا الكلام هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[18] وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[19] والله العالم.

لغة الجسد في القرآن

القرآن العظيم يرصد سلوكيات معينة للناس، منها ما رصد بعضها السيد باقر الصدر كسلوك الطغاة منذ آلاف السنين إلى اليوم فهم يعملون بالسلوكيات نفسها حيث يعملون على تمزيق المجتمع إلى ست طبقات للسيطرة عليه[20]. فالقرآن نفسه يرصد بعض الحركات منذ الاف السنين تتكر إلى اليوم، منها حركة المرأة عندما تندهش وتضرب خدها وتقول "يا" هذه الحركة رصدها القرآن العظيم منذ سبعة الاف سنة عندما بشرت الملائكة ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا السلام فكان من ردة فعل زوجته ان صكت وجهها وقالت يا ويلتي، فحذفت ويلتي لكثرة الاستعمال وبقيت ال"يا" شاهداً على سلوك نسوي متوارث لاشعوري مشترك تمارسه المرأة منذ الاف السنين، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[21] وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[22].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسان خَذُولًا﴾[23]، (عضّ اليدين والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرم، وقرعها: كنايات عن الغيظ والحسرة، لأنها من روادفها، فيذكر الرادفة ويدلّ بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان، ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه)[24].

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[25].

ف(تقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر، لأنّ النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن، كنى عن ذلك بعضّ الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدّى تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم " عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا " أي أنفق في عمارتها " وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا " يعني أنّ كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم. قيل: أرسل الله ﷻعليها ناراً فأكلتها " يا ويلتا لَيْتَنِي "تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله ﷻبستانه. ويجوز أن يكون توبة من الشرك، وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان)[26]. ان الموروث الديني اعظم مصدر للصورة النفسية كما أجمعت كثير من البحوث الحديثة ذلك لأنه يمس أصفى المشاعر وأرقّها، أطهرها وابسطها بل انه اصبح الانموذج المحتذى أسلوبا و مضموناً ؛ذلك لأن الخطاب القرآني (يجيب عن أسئلة الوجود والأخلاق والمصير وهو يجيب عن ذلك بشكل جمالي)[27].

حار العرب في امر القرآن، وقد عجزوا عن معارضته، بماذا يواجهون هذا العجز؟ فعدوا القرآن شعراً، واتهموا النبي بالكهانة والسحر هذا كله يدل على اضطرابهم، وفقدان الموضوعية في اتهاماتهم، فقد عيروا الوليد إذ صبأ عن دينهم، فلم يجد له مخرجا لكي يحفظ ماء وجهه، إلا ان يؤكد عدم استطاعة العقل البشري وحده على قول القران، فما كان أمامه إلا

ان ينسبه إلى السحر[28]، وهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فقتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[29] فهذه الحركات (النظر والعبوس والبسر ثم الادبار)، كناية عن حيرته.

لغة العين في القران

من الحركات الدقيقة التي رصدها القران، هي حركات العين فهوﷻ يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وخيانة العين، هي استراق النظر الى ما لا يحل، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[30]، الخائنة: صفة للنظرة. أو مصدر بمعنى الخيانة، أي النظرة الخائنة كالنظرة إلى ما لا يحل النظر اليه، واستراق النظر إليه أي مسارقة النظر لشيء بحضرة من لا يحب النظر إليه، فهناك نظرات ترغب ان تكون رائية لا مرئية وهي النظرة الجانبية حيث قد نتطلع الى شخص ما في أي حالة كان عليها، ننظر اليه بأطول مدة نشاء، شريطة الا يتحسس نظرتنا وشريطة ان تكون نظرتنا سريعة، كما انه يستوجب علينا في لحظة تحرك عينيه صوب اعيننا ان نبعد لمحتنا بإزاحتها عنه هذه النظرة هي الاكثر تعقيدا، هذه النظرة الاتية من اغلاق جفن العين هي النظرة التي تسمى نظرة من وراء الكواليس، حيث يكونان في وضعية ثلاثة ارباع من الانغلاق، يبدو ان هذه النظرة تخفي نفسها، لكن الجفنين يضغطان في الواقع على النظرة ويرميان بالنظرة رمي السهم، وإضافة الخيانة إلى العين من إضافة الشيء إلى آلتِه، وجعل النظرة خائنة استعارة مكنية بجعل النظر بمنزلة شخص يسرق من المنظور إليه ولذا عبر فيه بالاستراق النظر حقيقة الخيانة: عمل مَن أؤتُمِن على شيء بضد مَا أؤتُمنَ لأجله من دون علم صاحب الأمانة، حيث شبه الجليس بالحليف في أنه لما جلس إليك أو جلست إليه فكأنه عاهدك على السلامة، ألا ترى أن المجالسة يتقدّمها السلام وهو في الأصل إنباء بالمسالمة فإذا نظرت إلى آخر غَيْرِكُما نظراً خفياً لإشارة إلى ما لا يرضي الجليسَ من استهزاء أو إغراء فكأنك نقضت العهد المدخول عليه بينكما، فإطلاق الخيانة على ذلك تفظيع له[31]. فعضلات العين لها من الدقة بحيث تختلف كل لمحة من لحظة الى اخرى، وهي اما مباشرة او غير مباشرة، اقصى حالاتها تسمى النظرة من زاوية العين، فكل نظرة من النظرات تخبرنا عمّا يجري داخل الشخص الذي يطلقها، فهو تعالى لم يكتف ان يجعل على اللِسان من يرقبه ويحصي ما يلفظه، بل جعل على العين من يصور حركتها ويسجل معاني هذه الحركات ويبدو ان القران قد سجل هذه الحركات وصورها لنا ليختزل مجوعة من المواقف في حركة واحدة للعين، فبعدما عجزت اللغة عن التعبير عن هول القيامة جاءت لغة الاشارة لتكون شاهداً على عظمة القرآن وما يختزنه من دلالات وإيماءات وإشارات استعاض بها خالق الكلام عن الكلام عندما اختنقت اللغة وأصبحت عاجزة عن تصوير الأهوال التي سيكابدها الإنسان العاصي يوم القيامة.

فعبر التاريخ انشغل الإنسان واهتم بالعين وتأثيرها في السلوك البشري فالعيون هي مفتاح الذات، انها افضل وسيلة واغناها للاتصال[32]. تشير البحوث الى ان بؤبؤ العين يكبر وينقص على وفق تغير مزاج الشخص ومواقفه من ايجابية الى سلبية والعكس صحيح، فلدى الاطفال بؤبؤان اكبر من بؤبؤي الراشدين، وهذان البؤبؤان يتمددان دائما في حضرة الراشدين في محاولة لإظهار انهما ذوا جاذبية ولحصد اكبر قدر من الاهتمام.

كثيرا ما كانت النظرة عاطفة قوية ملازمة لها وقد تكون النظرة تحت ظروف معينة ممنوعة، زوجة لوط تحولت الى عمود من الملح بسبب نظرها الى الوراء قيل(روي أنه أخرجها معهم، وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هدّة العذاب التفتت وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها)[33]، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[34]، فشخوص البصر وهو: ارتفاعُ الأَجفانِ إِلى فَوْق وتَحْديدُ النظَر وانْزِعاجُه، أي إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف، فكأن العين تكون بيضاء لشدة ارتفاع بؤبؤ العين في العين، قال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[35]، وشَخَصَ الرجل بِبَصَرِه عند الموت يَشْخَصُ شُخُوصاً رَفَعَه فلم يَطْرِفْ

يقال شَخَصَ الرجل بَصَرَه فَشَخَصَ البَصَرُ نَفْسُه إذا سَما وطَمَحَ وشَخَصَ بَصَرُ فلانٍ فهو شاخصٌ إذا فَتَحَ عَيْنَيْه وجَعَلَ لا يَطْرِف وفي حديث ذكر المَيّت إذا شَخَصَ بَصَرُه شُخُوصُ البَصَرِ ارتفاعُ الأَجفانِ إلى فَوْقُ وتَحْديدُ النظَر وانْزِعاجُه[36].

والنظر من طرف خفي: لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منه، قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[37]، يَنظُرُونَ إلى النار خوفاً منها مِن طَرْفٍ العين " خَفِيٍّ " ضعيف النظر غير ظاهر فهم لا يستطيعون النظر بجميع العين بل ينظرون ببعضها بتحريك ضعيف للجفن يسارقون النظر، يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف. وهكذا نظر الناظر إلى المكاره: لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها[38].

<u>لغة العين في القران وأثرها في النص الزينبي</u>

ونمر في عجالة على مقتطفات قالتها عقيلة الطالبيين سلام الله عليها تشهد لها بتتبعها للتصوير الحركي في القرآن ثم تحويله إلى جزء من ثقافتها الخاصة، قالت: **(فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورا ، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأمور متسقة ، وحين صفى لك ملكنا وسلطاننا)**[39].

نستشعر من كلام العقيلة تصوير مشهد (يزيد) بالصوت، فحركة العين التي صورتها العقيلة وهي تنظر بصورة جانبية، توافق الدافع الشعوري، وتترجمه واقعا محسوسا، وهذه سمة رفيعة انماز بها كلام العقيلة عليها السلام الذي يحيل السرد إلى مشاهد منظومة غاية في التأثير. فبإمكاننا ان نشم رائحة المعنى ومعالم الصورة من الصوت، حيث تبعد الكلمة عن كونها إشارة اعتباطية، كما ان حركة فتح الشفتين ثلاث مرات في هذه الكلمة – نَظَرتَ– مرة على النون ومرة على الظاء ومرة على التاء، ترسم حركة ارتياحية للمنظور وتبختر، كما ترتخي الشفاه في لفظ هذه المفردة, وجاءت هذه الالتفاتة في كلام العقيلة من ثقافة البيت الذي رضعت فيه القرآن وتنفست فيه الوحي وعاشت فيه النبوة والإمامة فأنها من قوم زقوا علوم القران زقا، فقد جاءت مستلة من حركات العين والوجه التي رصدتها من القرآن كنايات واستعارات عن مواقف معينة أو خصلة موجودة في الإنسان.

يقول ابن منظور: شَمَخَ الجَبَلُ يَشْمَخُ شُموخاً علا وارتفع وقيل للمتكبر شامخ والشامخ الرافع أَنفه عِزّاً وتكبراً وقد شَمَخَ أَنفه وبأَنفه يَشْمَخُ شُموخاً تكبر وتعظم وشَمَخ فلانٌ بأَنفه وشَمَخَ أَنْفُه إذا رفع رأْسه عزّاً وكبراً[40].

أما العِطْف بالكسر فهو: المَنْكِب، قال الأَزهري: مَنكِب الرجل عِطْفه وإِبْطُه عِطْفُه والعُطوف، وثَنَى عِطْفَه لاوِياً عُنقَه وهذا يوصف به المتكبِّر ومنه المِعْطَفُ وسمي الرِّداء عِطافاً لوقُوعه على عِطْفَي الرّجل وهما ناحيتا عنقه[41].

فكلام العقيلة كناية عن التكبر فهي سلام الله عليها انتقلت من لفظ التكبر إلى لفظ شمخت بأنفك ونظرت في عطفك لأغراض أرادتها العقيلة سلام الله عليها سنعرفها. وعلى الرغم من ان عنصر الحقيقة والمجاز مطروحان في السياق فعنصر القصد من لدن العقيلة هو الذي يرجح مجاوزة المستوى السطحي للأسلوب الكنائي ويحيل المتلقي بوساطة النسيج الثقافي المشترك بين طرفي الاتصال إلى المستوى العميق الذي يدرك من خلال لازم المعنى فإن المنتج يظل في منطقة الحقيقة اذا لم تكن هناك قرينة تمنع من إرادة المعنى الوضعي.

فصياغة كلام العقيلة تهدف إلى المبالغة ورسم صورة للكبر الذي رأته في عيني يزيد، وجاءت بنية الكناية لتؤكد تلك المبالغة، حيث كَنّتْ عن التكبر والخيلاء بشموخ الأنف والنظر بالعطف، وترجع إفادة المبالغة إلى هذه اللوازم والتوابع التي عبرت بها عن المكنى عنه فهي بمثابة الأدلة والبراهين عن تحقيق المعنى وإثباته.

وهو يتعالق مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[42].

ورأى الزمخشري ان الآية تحتوي دلالة تعريضية حين تتحرك بؤرة الدلالة من المتلقي الخاص إلى المتلقي العام فقال: وتصاعر، وتصعر: بالتشديد والتخفيف. يقال: أصعر خدّه، وصعره، وصاعره: كقولك أعلاه وعلاه وعالاه: . والصعر

والصيد: داء يصيب البعير، يلوي منه عنقه. والمعنى: ولا تولهم شق وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون[43]، فكما ان الصعر مرض عضوي يصيب البعير وعلامته ميل في العنق[44] ويميل بوجهه إلى الجانب بسبب العلة التي هي فيه، فإن التكبر والخيلاء مرض نفسي يصيب الإنسان وعلامته ان ينظر بشق وجهه، ويرفع انفه إلى الأعلى غرورا بنفسه وتعاليا عن الناس.

فالقران استعار من الطبيعة صورة البعير[45] المريض الذي أصابه الصعر فمال بوجهه وأضافها إلى المريض نفسيا (المتكبر)، وهي استعارة من بعيد إلى بعيد "من البعير إلى الإنسان"، والعقيلة استعارت صفات موجودة في الإنسان المريض بالتكبر والخيلاء بدلا من لفظ "المتكبر "وهي استعارة من "قريب إلى قريب"، ويبدو ان الاستعارة القرآنية ابلغ من الاستعارة الزينبية؛ وذلك بالنظر لاختلاف قائليهما.

فالصورة التي رسمها القرآن اطار تتعانق فيه الفكرة والعاطفة لتتلمس مسارا سالكا إلى المتلقي، ووسيلته إلى ذلك احد أشكال اللغة الجمالية، فـ(سبيل الكلام سبيل الصورة والصياغة)[46] وكثيرا ما يتم الاهتمام بالمتباعدات من الصورة؛ لان (التقريب بين تصويرين متباعدين كل التباعد يعطي الصورة كل قيمتها وكل حيويتها)[47].

ونلاحظ الانزياح الدلالي في النص الزينبي، **الذي** وظفه التعبير الزينبي للكشف عن خصوصيته في التزحزح عن المعنى الأصلي إلى معنى جديد يدركه من خلال السياق الذي يرد فيه، فالتعبير الكنائي يفصح عن بلاغة النص الزينبي وروعة بيانه، وينتصب شاهدا من شواهد الإعجاز فيه ولهذا فانه يدعو إلى التأمل والتدبر المستمر لإدراك ما وراءه من مقاصد وإيحاءات، للوصول إلى عمق الدلالة وعدم الوقوف عند سطحية النص وظاهر العبارة. فالنظرة الجانبية تستعمل لايصال رسالة من اثنين: اما الاهتمام، او العداء. اذا ترافقت مع رفع بسيط للحاجبين، او ابتسامة، اما عندما تترافق مع حاجبين متجهين الى الاسفل او تقطيب الجبين فانها تشير الى العدائية، الشك والانتقاد[48].

ومهما يكن من امر فإن الانزياح عن ذكر المكنى عنه (التكبر) إلى ذكر صفاته ولوازمه كان ذا دلالة مهمة في السياق، لان هذه الصفات واللوازم تعد من جملة المعايب والمذام في الطاغية، ومن ثم فإن ورودها في السياق يدل على مرض نفسي يعصف بالإنسان يجعل الطين ينسى انه طين.

فللعيون في القران لغة يفهمها اهلها، وهي لغة مبنية على الاستعارة والكناية. وقوام هذه اللغة قائم على حركة بؤبؤ العين إلى الجانب والى الأعلى والى الأسفل وتساعده حركة الجفنين والحاجبين وعضلات الوجه والرأس في أفهام هذه اللغة إلى الآخرين وهذه اللغة دائما ما تعبر عن الحالة النفسية التي يمربها الإنسان من خوف، وحزن، وجزع، وسرور، وذل وطمع، وانبهار، وتكبر فيستثمرها الباحثون في مجال اللغة فيجعلونها كنايات عن ذكر المكنى عنه إلى ذكر صفاته ولوازمه، لان ورودها في السياق يدل على حالة نفسية تعصف بالإنسان.

فالحركة التي صورتها العقيلة هي ازدراء العين قال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِي﴾[49]. زري و زَرَيْتُ عليه وزَرَى عليه بالفتح زَرْياً عابه وعاتَبه وتَزَرَّيْتُ عليه إذا عتَبْتَ عليه[50]، فازدراء العين كناية عن (الاحْتِقارُ والانْتِقاصُ والعَيْبُ وهو افْتِعالٌ من زَرَيْت عليه زِرايةً إذا عِبْتَه)[51] وفي الآية استعارة مكنية حيث جعلت من العين شخصاً يعيب الآخرين والازدراء افتعال اصلها ازترى وهو صيغة مبالغة الازدراء فزيادة المبنى زيادة في المعنى. اما صورة الازدراء فهو إمالة البصر عن النظر إلى الاخر لغرض الانتقاص منه ولاسيما من الفقراء خوف ان يعديهم فقرهم وكأنما الفقر عاهة او مرض مثل الجدري او البرص او الجذام ومنه وجاءت آية أخرى لتعاضد هذا المفهوم وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[52]، فأضافت ثلاث حركات الى الحركة الاصلية لأنهم إذا سئلوا يتبين أثر المنع، وكراهة الإعطاء فى جباههم ووجوههم بالتعبس وتقطيب الجبين وإشاحة الابصار عنهم، واجتماع جلدة الجبهة، واذا كرروا السؤال مالوا بجانبهم إلى جهة غير جهة السائل، وإن ألحوا ولّوهم ظهورهم[53].

الهوامش:

1- ينظر: لغة الجسد: 9
2- ينظر: قاموس ويستر: 155.
3- ينظر: سيكلوجيا الواقعية والانفعالات: 340.
4- ينظر: لغة الجسد كيف تكتشف الآخرين من خلال ايماءاتهم: 5.
5- ينظر: موسوعة الفراسة في معرفة لغة الجسد: 8-9.
6- ينظر: م.ن: 22.
7- ينظر: م.ن: 8-9.
8- ينظر: لغة الجسد: 26-27.
9- ينظر: م.ن: 27-28.
10- ينظر: م.ن: 17.
11- ينظر: لغة الجسد كيف تكتشف الاخرين من خلال إيماءاتهم: 30
12- ينظر: لغة الجسد: 198.
13- ينظر: م.ن: 25.
14- دراسات في علم اللغة: 159.
15- الصورة في شعر ابي تمام: 162.
16- الاحزاب: 11.
17- الملك: 22.
18- الاعراف: 179.
19- الجمعة: 5.
20- ينظر: السنن التاريخية في القرآن: 161 -167.
21- الذاريات: 29.
22- هود: 72.
23- الفرقان: 27-29
24- الكشاف: 345/4.
25- الكهف: 42.
26- الكشاف: 3/ 588.
27- النص القرآني وآفاق الكتابة: 20.
28- ينظر: جمالية المفردة القرآنية: 85-86.
29- المدثر: 18-25.
30- غافر: 19.
31- ينظر: الكشاف: 5/ 339، وينظر: الميزان: 17/ 321.
32- ينظر: لغة الجسد كيف تكتشف الاخرين من خلال إيماءاتهم: 30.
33- الكشاف: 3/ 222.
34- هود: 81.
35- الانبياء: 97.

36- ينظر: لسان العرب: مادة.شخص.

37- الشورى: 45.

38- ينظر: الكشاف: 5/ 419

39- زينب الكبرى: 355.

40- ينظر: لسان العرب: مادة. شمخ.

41- ينظر: م.ن: مادة.عطف.

42- لقمان: 18.

43- ينظر: الكشاف: 5/ 16.

44- ينظر: مفردات غريب القرآن: 369.

45- في عنق الناقة لا في عنق البعير، فقد سمع طرفة بن العبد، المتلمس ينشد

a. وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعرية مكدم

b. فقال: استنوق الجمل

c. تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: 19.

46- دلائل الاعجاز: 254.

47- دليل الدراسات الاسلوبية: 70.

48- ينظر: لغة الجسد كيف تكتشف الاخرين من خلال إيماءاتهم: 34.

49- هود: 31.

50- ينظر: لسان العرب: مادة. زرى.

51- م.ن: مادة.زرى.

52- التوبة: 35.

53- تفسير الرازي: 16/ 50.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

2- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه احمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.

3- تفسير الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، للإمام محمد بن عمر فخر الدين الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت606 هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت، 1981م.

4- جمالية المفردة القرآنية، احمد ياسوف، اشراف وتقديم: الدكتور نور الدين عتر، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، ط2، 1999م.

5- دراسات في علم اللغة، الدكتورة. فاطمة محجوب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م.

6- دلائل الإعجاز، الشيخ الامام ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت 471)، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م.

7- دليل الدراسات الأسلوبية د. جوزيف ميشال شريم، الناشر: المؤسسة الجامعية، بيروت، 1424هـ.

8- زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، 2011م.

9- السنن التاريخية في القرآن، آية الله العظمى محمد باقر الصدر، أعاد صياغة عباراته وترتيب أفكاره: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2011م.
10- سيكلوجيا الواقعية والانفعالات، محمد محمود بني يونس، دار المسيرة، عمان، 2007م.
11- الصورة في شعر ابي تمام، الدكتور عبد القادر الرباعي، عمان، 1980م.
12- قاموس ويستر، الطبعة التاسعة، لبنان، 1988م.
13- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل احمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن احمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م.
14- لسان العرب، العلامة ابن منظور (ت711 هـ)، معجم لغوي علمي، قدم له: العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).
15- لغة الجسد، يوليوس فاست، ترجمة: عادل كوركيس، الناشر: دار نوافذ للدراسات والنشر، دمشق، 2010م.
16- لغة الجسد كيف تكتشف الاخرين من خلال إيماءاتهم، سوزان كينغ، مايكل ديك، ترجمة: عادل الناطور، مراجعة: سعد السهل، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.
17- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف ب(الراغب الأصفهاني)تم التحقيق والإعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ت).
18- موسوعة الفراسة في معرفة لغة الجسد، محسن عقيل، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، بيروت، 2010م.
19- الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطبطبائي والنشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997م.
20- النص القرآني وأفاق الكتابة، أدونيس، الناشر: دار الأدب، بيروت، 1993م.